الانعطاف ، بل من نقطة البداية • وان زيارة القدس ، كانت حتمية المسار دون ان تحتاج الى ارتداء هذا الشكل من الطقوس والتفاصيل • وان الحاكم المصري لم يعلن الحرب على مصر من مطار اللد عندما كان يعانق جنرالات اسرائيل ، وانما اعلن عليها الحرب حين منع جنود مصر العظيمة من اجتياز الرمال •

ولنا تقاليد • نحن دائما نأتي الى السؤال متأخرين • لذلك نسأل : هل حضر المتهم ؟ تصمت قافلة المسافرين الى وقت الاعلان عن المحاكمة • ولكن رئيس وزراء الغزو الصهيوني السابق يجيب عن السؤال ، ومصر ذاهبة الى ذكرى ٢٣ يوليو : « ان هدف السادات البعيد المدى هو ان يضم اسرائيل الى مجموعة دول الشرق الاوسط التي ستتصدى للمد السوفياتي • وان الخطر السوفياتي يقوم مقام الصراع العربي ـ الاسرائيلي في نظر المصريين • والسادات مشغول الىان من التغلغل السوفياتي في البحر الاحمر وفي القارة الافريقية » •

انه ذاهب حتى آخر الشوط ، متثائل حتى الجنون • ولا احد يوقفه • لا احد يوقف هذا التدهور • ونحن نقرأ لائحة الاتهام التي يغذيها كل يوم بجريمة جديدة ، لان الحاكم العربي لا يحاكم • الهذا السبب يبتسم الجميع ؟• ولا تكفي اصابع اليدين لاحصاء عدد المتهمين ؟ ولماذا لا يسقط الساقط وحده ، ولا ينهار المنهار ؟ وهل تعوض قوة القانون عجز السياسة الذي جعل من مسار النظام المصري انعطافا لاتجاه المنطقة في غياب الفاعلية الثورية المضادة ؟

لن نحزن على رجال القانون والباحثين الذين يسهرون الليل ليبرهنوا لنا على ان الحاكم المصري قد خالف القانون •

ان كلمة ما يجب ان تقال ، لكي لا نكون جميعا موتى • لا احد يرجو من الحاكم شيئا ، لا احد يتوقع منه غير المزيد من الخيانة ، ولا احد يوقف التدهور • ولكن كلمة ما يجب ان تقال ، لكي لا يكون المناخ كله فاسدا ، ولكي لا يصدق مزيد من الابرياء الذين يأتيهم الوعي الوحيد من اذاعة القاهرة ان الخبز يأتي من فرن الاستسلام •

وهذا هو حزني الوحيد : كيف تخرج قرية في الصعيد ، ينقرها وقبرها ، بأهلها ورملها ، لتهتف : يحيا بيغن !• أية عملية بناء نفساني استطاعت ان تضع جائعي مصر امام رجاء نبوي بأن يأتيهم هذا الحاكم بصحن فول من قبر الجندي الاسرائيلي المجهول ، الذي دفن الافا من بنيهم في رمال سيناء ، وعلى امتداد مدن السويس ، فحمل اليه حاكمهم باقة ورد ؟•

من أجل حماية هذا الوعي تكون المحاكمة • واخيرا محاكمة • ولا احد يتوقع شيئا ، لان الجميع يسألون عن الجدوى والفاعلية ، وعن السبب الذي حول الرد على اخراج مصر من المعركة ومن السياسة الى مسألة قانونية لا تغطي العجز عن بناء الجبهة المضادة ، وعن اعادة الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى محور العلاقات العربية وتحديات الامة • فمنذ الزيارة حتى الآن تفككت مقولة الصراع ، وصارت اكثرية الانظمة العربية تحارب على جبهات اخرى ، وصار الاستقلال الوطني يعني التوغل في الغاء التناقض بين حركة التحرر العربية وبين الامبريالية من جهة ، والتلخص الاحمق من علاقات الصداقة والتحالف مع القوى الثورية